Issn:2572-0023

سياسة اليسار الفرنسي الاجتماعية في الجزائر بين مأزق الايديولوجيا و زخم الوطنية الجزائرية

(1945-1953)

د / جيلالي تكران

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف

ملخص:

شـهدت الجزائر نمطا اقتصـاديا اسـتغلاليا قائم على الاحتكار والإبعاد , تحكمت فيه أقلية أوربية اسـتيطانية مدعومة من حكومة باريس والحكومة العامة في الجزائر بالقانون والمال والسـلاح على حسـاب جماهير واسـعة من الجزائريين أفقدتهم أراضـيهم وممتلكاتهم الثابتة والمنقولة وفككت بنيتهم الاجتماعية والاقتصادية واجتث اصول وقواعد العروش والقبائل ومزقت نسيجهم الحرفي والزراعي طيلة فترات الاحتلال وتبلورت نواجم هذه الكارثة بين الحربين العالميتين إذ فرضـت الهجرة والنزوح فرضـا على الجزائريين وار غمتهم على الهجرة نحو الخارج و المدن الأمر الذي أغرى اليسار الفرنسي في تلقف السيول الجماهيرية لتعبئتها في الحملات السـياسـية والإضـرابات والمظاهرات النقابية في فرنسـا والجزائر , واتخذ منها سـلاحا لشـهره في وجوه الخصـوم , إلا أن طبيعة الايدولوجيا وجشـع الطغمة الاسـتيطانية وتعاظم الوطنية الأهلية جعله يتخبط في تلمس الطريق نحو مجتمع متجانس ومتعايش , فمرة تراه يجامل الجزائريين في المسالة الوطنية ومرة أخرى ينأى عنها تماما ويميل الى طرح المستوطنين ويتغاضى عن المسالة الاستعمارية كلية , فالتأرجح بين هؤلاء وأولئك افقده ثقة الجماهير من الجانبين وتمسـك به من ظل يعيش على "الطوباوية الأنجليزية" إلى وقت تفجير الثورة التحريرية 1954 .

الكلمات المفتاحية: اليسار الفرنسي. النضال الاجتماعي، الحزب الشيوعي الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، العمال، الهجرة، المستوطنون، الأجور، الاتحادات المهنية، الانخراط.

Summary :

Algeria had experienced an exploitative economic pattern based on monopoly and exile. An European colonial minority supported by the government of Paris and the general government of Algeria by law, money and arms at the expense of a large mass of Algerians who lost their lands and their immovable possessions and dismantled their social and economicand an agricultural structure during the period of occupation and its results were crystallized between the two world wars, imposed migration and displacement against their will abroad and towards the citieswhich enticed the French left to take the public flood to mobilize in his political campaigns and strikes and demonstrations in France and Algeria, and used it as a weapon in the faces of his opponents.but the nature of ideology and greed of the settler tyranny and the increase of Algerian nationalism made him looking for a harmonious society and coexistence in vain. Some times the French left was kind to the Algerians' national cause, and once again it was totally distanced from it .and supported the settlers and completely ignore the colonial question. The oscillation between them and those had cost theFrench left the loss of confidence of the masses on both sides and lived on the "Angles'sutopia"untill the liberation revolution 1954 took place .

مقدمة:

شهدت الفترة ما بين الحربين العالميتين ملامح حرب إيديولوجية لما أفرزته الحرب الأولى من ميلاد نظام شيوعي في روسيا على أنقاض أسرة آل رومانوف, إذ ساهمت تبعات الحرب على المجتمع والاقتصاد في تدهور الحياة المعيشية في المستعمرات والدول الاستعمارية ذاتها مما فتح الباب أمام التيارات الفكرية المطالبة بالعدالة الاجتماعية وتامين الوظائف ودفع آلة الإنتاج , والحال هذه فان الجزائر المستعمرة عانى شعبها من ويلات الاستعمار منذ 1830 وما الحرب ونتائجها سوى إنها أضرت بالكولون والمواطنين الفرنسيين بشكل جزئي بحيث سارعت التيارات الاشتراكية والشيوعية إلى تبني خطاب التغيير الاجتماعي والسياسي لفئة على حساب أخرى وهو ما ظهر جليا في مسار اليسار الفرنسي في التعامل مع المطالب الاجتماعية والاقتصادية في الجزائر غداة الحرب العالمية الثانية دون اخذ مسالة الاستعمار بجدية كسبب مهم في غياب أي مبادرة للتقليل من الفوارق بين المجتمعين الأمر الذي أكد قصوره عن الواقع المعيش .

1 . اليسار الفرنسي ومهمة استقطاب الجزائريين.

لقد واجه الحزب الشيوعي الفرنسي عراقيل عدة للنفاذ إلى المهاجرين الجزائريين بفرنسا بسبب التمايز العرقي واللغوي وجهل إطارات الحزب باللهجات الجزائرية (الشاوية , القبائلية) واللغة العربية [1] فضلا عن الأحكام العنصرية المسبقة لبعض الأوربيين تجاه الجزائريين ومحاولات أرباب العمل السعي لتقسيم وتفكيك الطبقة العاملة انطلاقا من سياسة تقليدية " فرق تسد "[2] .وجدير بالذكر أن الجزائريين في الجزائر ظلوا تحت نير قانون الأهالي الذي صعب عليهم أمر الانخراط في العمل النقابي ويمكن للإدارة استغلال العملية لقمع العمال بدعوى التحريض ونفيهم الى الجنوب [3] كما أن الكونفدرالية العامة للشغل في الجزائر قد فصلت بين المطلب النقابي والمطلب

1 كمال بوقصة، مصادر الوطنية الجزائرية، إلى منابع الوطنية الجزائرية الشعبوية، ترجمة د/ ميشيل سطوف، دار القصبة للنشر , 2005 , ص 220.

2 François Weiss , Doctrine et actions syndicales en Algérie ,Bécançon, Imprimerie Moderne de l'Est, 1970, p 19

3AhmedAbid ,Mouvement syndical et luttes sociales en Oranie 1942-1951 , volume 01, thèse doctorat 3 sycle , s/d René Gallissot , Oran , 1985 , p 15 .

السياسي وازداد الفصل بين المطلبين بعد الوحدة النقابية سنة 1936 [1], حيث "**ابتلعت**" الكونفدرالية العامة للشغل (الاشتراكية)الكونفدرالية العامة للشغل الموحد (الشيوعية) في إطار الجبهة الشعبية, فضاع حلم تأسيس نقابة جزائرية صرفة[2] .ويرى البعض الأخر أن فكرة إنشاء نقابة جزائرية هي مرحلة سابقة لأوانها بحكم أن الحركة العمالية الجزائرية مازالت في طور التشكل والنقابيين الجزائريين يمثلون قلة داخل النقابات الفرنسية وحداثة عهدهم بالممارسة النقابية, والحركة الوطنية مازالت لم تؤمن لنفسها أسباب القطيعة والتصدي للوضع الاستعماري ويبقى الطموح مشدودا وسط العمال الجزائريين مع نضج الظروف بتوحيد النقابتين 1936 [3] إلا أن التعويل على التوحيد كعنصر مهم في تحقيق غاية العمال الجزائريين هو من باب التمني لا غير بدليل أن النقابة التي كانت أقرب الى أحاسيس الجزائريين وطموحاتهم المهنية والوطنية قد ذابت في النقابة الأم والأصل وهي الكونفدرالية العامة للشغل التي لا تعترف بهذا الطرح جملة وتفصيلا .

وبما ان غالبية السكان الجزائريين هم من الريف وليس سهلا تنظيمهم في نقابات وأن 600 ألف عامل في المدن سنة 1930 يشتغلون في نشاطات تقليدية وحرفية لم تعرهم النقابات اهتماما [4] حيث يذكر لخضر قايدي أحد النقابيين الجزائريين سبب تأخر الجزائريين عن إنشاء نقابة خاصة بهم الى افتقاد العمال الجزائريين لوعي عمالي وتكوين كاف وضعف اهتمام التيارات السياسية بالطبقة الشغيلة وتأطيرهم عكس الحزب الشيوعي الجزائري و الكونفدرالية العامة للشغل اللذان حضرا إلى الجزائر زيادة على استقدام إطارات من فرنسا أو أطلق سراحهم حديثا استطاعوا بفضل خبراتهم ومعرفتهم تكوين كفاءات نقابية سهلت ميلاد الحركة العمالية فيما بعد[5].

2-عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس، الطبعة الأولى، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان , 1981، ص 159.

2Mohamed Teguia ,L'Algérie en guerre , OPU,Alger, 1993, p 144 .

4-احمد عبيد., على درب نضال العمال الجزائريين لتحقيق الاستقلال النقابي ابان الوجود الاستعماري، مجلة أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (دراسات وبحوث وشهادات تاريخية)، طبعة 1 , الجزائر 1989، ص 37.

4Mohamed Teguia, op cit , p 144 .

5BoualemBourouiba ,Les syndicalistes Algériens , leur combat de l'eveil à la libération nationale 1936- 1962 , Co-editionDahleb- ENAG ,Alger, 2001, p 64 .

ان التنظيمات النقابية التي يوجد بها جزائريون بكثرة كالمناجم والموانئ والمخازن لا يمكنها الاحتجاج ونشر مقالات في الصحف النقابية دون لفت أنظار الإدارة بسبب تركيبتها المتنوعة بل كانت محل ضربات المستعمر وأرباب العمل حيث لا يمكن التحكم في ثبات تعداد العمال في القطاعات المنجمية والبناء كون قيادة الشركات في القنادسة, زكار والكويف بيد الأوربيين, فالقمع والتغيب عطلت باستمرار العمل النقابي ومادام هؤلاء المنجميون من أصول ريفية فإنهم يتواجدون بقراهم لأجل الحرث والحصاد لفترة طويلة فهم عمال زراعيون بالدرجة الأولى جاءوا لإعالة أسرهم بمدخول إضافي وليسوا عمالا دائمين إذ لا يمكن أن نغذي يتكون بداخلهم وعي النضال العمالي وهم الأكثر استغلالا من طرف الكولون [1].

إن الظروف الموضوعية التي جعلت العمال الجزائريين بعيدين عن التكتل هو تشتتهم في المدن داخل المؤسسات الصغيرة ووجود حشد من أنصاف العاطلين عن العمل غير القابلين للتنظيم لعدم استقرارهم في المؤسسات فاتجهت الكونفدرالية العامة للشغل نحو القطاعات التي يتواجد بها عمال دائمون وهذه الإستراتيجية واجهت صعوبات حقيقية لأن مطالب العمال الأوربيين تتطابق نسبيا مع القسط الأكبر من العمال الجزائريين ولا تتطابق مع البروليتاريا والعمال الزراعيين [2] إلا أن ذلك لم يمنع اليسار من محاولة البحث عن مناضلين بين العمال الجزائريين مستغلا تغيير الخطاب النقابي والسياسي بين الفينة والأخرى لتعزيز حضوره في المظاهرات والإضرابات من خلال توابعه في الجزائر مثل الحزب الشيوعي الجزائري والكونفدرالية العامة للشغل.

2- تزايد الاهتمام بالطبقة الكادحة والنضال المطلبي في فرنسا والجزائر:

بترخيص من الحكومة العامة والكونفدرالية العامة للشغل تم تنظيم مظاهرات للعمال بمناسبة العيد العالمي للعمال في 01-05-1945 في المدن الكبرى , شارك فيها حزب الشعب الجزائري وحركة أحباب البيان والحرية بلافتات تحمل شعارات وطنية ,بحيث تزامن الاحتفال مع استسلام النازية وموت العديد من الشباب الجزائري في المعارك الأوربية لأجل مبادئ هو محروم

1BoualemBourouiba , op cit , p 138 .

3-عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص 158.

منها في بلده الأم وكانت التعليمات أن تكون المظاهرة سلمية وعدم مواجهة الشرطة ومنع حمل السلاح ورفع الراية الوطنية [1]وتلقت الحركة الوطنية الجزائرية ضربة قاصمة مست الوجدان الوطني وتعمقت القطيعة النهائية مع كل تعايش سلمي أو تعاون مع فرنسا [2]وبعثت القناعة بالكفاح المسلح مرة أخرى وتباينت المواقف السياسية من جديد وسط الأحزاب الجزائرية بعد ائتلاف قصير لم يعمر أكثر من سنتين وشهرين.

لقد تم توحيد طرفي الكونفدرالية العامة للشغل مرة أخرى سنة 1943 إثر اتفاق بيروكس بفرنسا وتساوى التياران الشيوعي والاشتراكي عدديا في أول لجنة كونفدرالية وطنية في 29-03-1945 لكن في اللجنة الإدارية الجديدة في أول مؤتمر بعد الحرب العالمية الثانية 08 إلى 12 أفريل 1946 أصبح الشيوعيون يسيطرون على 20 مقعد مقابل 15 مقعد لصالح الاشتراكيين بل اكتسح الشيوعيون جل الهياكل ولم يعد الاشتراكيون يسيطرون سوى على 09 فدراليات من أصل 40 فدرالية في نوفمبر 1947 وحافظت الكونفدرالية العامة للشغل على وحدتها الى غاية 1947[3].

لكن القطيعة المتولدة عن مجازر 08-05-1945 وسط الجزائريين أدت إلى تنامي روح العداء تجاه النظام الاستعماري بهياكله واتسعت هيمنة الأحزاب الوطنية في إطار حركة "أحباب البيان والحرية" على الجماهير الجزائرية مما جعل نقابة الكونفدرالية العامة للشغل تتخوف من صعود الوطنية فقامت بدعم الحزب الشيوعي الجزائري[4] لعرقلة هذه الحركة وأعلنوا بدورهم إنشاء "أحباب الديمقراطية والحرية" والتي اعترف فيها عمر اوزقان في سبتمبر 1944 بفشل هذه الحركة

1BoualemBourouiba , op cit, p 68 .

2-محمد فارس، أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية، جذورها، تطورها، مراحلها حتى 1962 , ترجمة عبد المجيد بيرم وآخرون، مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين)، ط1 , الجزائر , 1989, ص 134.

3- محمود آيت مدور، الحركة النقابية المغاربية 1945-1962 , الجزائر وتونس نموذجا، أطروحة لنيل شهادة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006 , ص 31.

4- حمل الحزب الشيوعي الجزائري التيار الاستقلالي مسؤولية أحداث الشمال القسنطيني 1945 مما جعله محل انتقاد لاذع من قبل حزب الشعب ونعته بالموالاة للاستعمار وخدمة أعوانه.

أثناء الحرب[1] بغرض فرملة التيار الوطني أو كبحه عن التحرك باتجاه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية العدو اللدود لليسار الفرنسي في الداخل والخارج .

في12 ديسمبر 1946 انعقد المؤتمر الثالث لنقابات الجزائر بحضور ممثلي اتحاد نقابات عمالة وهران , قسنطينة ومدينة الجزائر أسفر عن إنشاء "لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية للجزائر" **برئاسة "أوندري روسو"**[2] والاهتمام أكثر بالقضية الوطنية من خلال صعود 13 أمين اتحاد مهني بينهم أربعة جزائريين: محمود سيفي (النقل), أحمد حمياني (الأشغال العمومية) ,محمد معروف (الزراعة), عروسي (الصلب)كما تسلق الجزائريون مواقع المسؤولية داخل نقابة الكونفدرالية العامة للشغل في الاتحادات المحلية أو المراكز النقابية منهم محمد ميرة بالبليدة, الشريف جبور بالشلف, وآكلي سعدي بتيزي وزو, مصطفى سعدون وربيعة مداني بوهران, كيموش بجيجل وأرزقي بقسنطينة وأغلب هؤلاء الأمناء الجزائريون هم أعضاء في الحزب الشيوعي الجزائري رفقة أوربيين آخرين يحتلون نفس مواقع المسؤولية وصناعة قرارات الكونفدرالية العامة للشغل الهادفة إلى جزأرة الإطارات النقابية والنشاط القوي وسط الفلاحين[3] .

وقد كان الجزائريون أقلية داخل هذه الاتحادات عملا بقانون الأهالي الذي منعهم من الانخراط أو تسيير النقابات ولكن بدء من أمرية شارل ديغول 07-03-1944 حصلوا على حق الانخراط والمشاركة ووتسيير الفروع النقابية والنقابات المهنية على المستوى الجهوي والوطني، ورغم هذه المشاركة فقد ظل الجزائريون يشكلون أقلية داخل القطاعات الاقتصادية الهامة حيث تتواجد النقابات الأكثر نضالا ونشاطا ما عدا الزراعة في حين يتموقع الأوربيون في مناصب المسؤولية على سبيل المثال:

1BoualemBourouiba, op cit , p 66.
2Lakhdar kaidi ,Une histoire du syndicalisme Algérien , entretiens de Nasser Djabi , édition , Alger, 2005 , p 76
3Noura Benalleugue-Chaouia, Algérie mouvement ouvrier et question nationale 1919-1954, OPU , 2005 , p p295,295 .

- روني سولرRené Soller[1]: يدير اتحاد نقابات عمالة قسنطينة.
- أوندري روسو André Rousseau: يدير اتحاد نقابات عمالة العاصمة.
- إيلي أونغونينEly Anghonin: يدير اتحاد نقابات عمالة وهران [2] .

تشارك هذه الاتحادات النقابية للعمالات الثلاث في اللجنة الفدرالية الوطنية لنقابةالكونفدرالية العامة للشغل وربط العلاقة معالكونفدرالية العامة للشغل الأم الفرنسية وكانت الأمانة بيد مناضل شيوعي أوربي هو اوندريرويزAndré Ruiz وفي 1952 أصبح من بين 05 أمناء 03 جزائريين هم : براهم موسى , علي بن اسماعيل , قسوم دحمان ومن ضمن 15 أعضاء مشكلين للمكتب يوجد 09 جزائريين هم (أحمد حمياني , لخضر قايدي , عبد القادر قناطري, براهم سمبساجي , محمد سلالي وبشير مراد وقسوم دحمان وعلي بن إسماعيل وبراهم موسى[3] وأغلب هؤلاء هم أعضاء في الحزب الشيوعي الجزائري [4] وأوعزت الكونفدرالية العامة للشغل إلى نقابييها بإنشاء اتحادات قطاعية في جميع أنحاء البلاد كالموانئ و المعادن والمزارعين .

لقد جاء المؤتمر الثالث للنقابة بهيكلة جديدة تستجيب لضرورتين هما:

1- الخصوصية الجزائرية لاختلاف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بين كل من الجزائر وفرنسا.

2- الواقع الاستعماري وتبلور الوعي الوطني.

وعليه أقرت الهيكلة الجديدة مكانة للعنصر الجديد في النقابات ليكون التمثيل حقيقي ونموذجي وتقرر:

18ولد في أم الطبول في 10-01- 1901 شيوعي منذ 1924 وأمين الاتحاد الولائي لعمالة قسنطينة 1936 ونقابي نشط في الكونفدرالية للعمل الموحد قاد إضراب الخبازين سنة 1930 وإضراب منجم الكويف 1947 رفقة لخضر قايدي، عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي René ليرحل الى فرنسا 1956 ثم عاد الى الجزائر بعد الاستقلال. انظر: lodiالجزائري 1951 قبض علية 1955 وسجن في معتقل Gallissot , Algérie engagements sociaux et question nationale , dictionnaire biographique du mouvement ouvrier Maghreb , Barzakh, 2007, p 556 .

2Lakhdar kaidi, op cit, p 78.

3 CAOM, UGTA en Algérie 1957-1961, 7G/ 1106.

4Charles Robert Ageron, Genèse de l'Algérie Algérienne, édition Bouchène, Paris, 2005, p 493.

– إقامة اتحادات جزائرية في القطاع الصناعي حيث يهيمن الأوربيون على القطاع العام وتعميمه على القطاع الخاص حيث يكثر الجزائريون ويتعرضون لأبشع أنواع الاستغلال.

– الحث على إبراز إطارات نقابية جزائرية وإسنادها مسؤوليات تبعا للديمقراطية النقابية.

– إنشاء هيئة مركزية تشرف على تنسيق النشاط النقابي بالجزائر وتكييفه حسب الواقع المعاش[1].

3–عقدة اليسار الفرنسي من تبلور"الوطنية الأهلية":

لقد انسحب الأوربيون والفرنسيون من الكونفدرالية العامة للشغل بعد جزأرة النقابة وانضمام الحزب الشيوعي الجزائري الى جبهة وطنية ديمقراطية جزائرية في جويلية 1946من أجل الحرية والأرض لمن يخدمها والخبز وزيادة الرواتب وتخفيض الأسعار والضمان الاجتماعي وتحسين التموين والانفتاح على التشكيلات الوطنية وعلى الأوربيين التقدميين بعد انتقاده اللاذع للتيار الوطني وتحميله مسؤولية مجازر الثامن ماي 1945 لاستمالة الجماهير.

ونظرا لتزايد العضوية في الكونفدرالية العامة للشغل وقبول خصوصية النقابة في المستعمرات فقد زاد هامش الاستقلالية و تطلب إعادة الهيكلة وتفكيك النقابة في جوان 1946 لتتعمق في ديسمبر 1946 حيث تقرر انشاء اتحادات قطاعية مثل الموانئ والمناجم والزراعة وتأسيس لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية للجزائر [2] وهو ماعبرت عنه الكونفدرالية العامة للشغل في إحدى نشراتها "**العمل**" بتاريخ 23–08–1946 "لا يمكن غلق أعيننا عن تطور الوعي الوطني الجزائري وتوسعه "[3] معترفة ضمنيا بتطور الوعي الوطني والنضال المطلبي وسط الجزائريين الكادحين وإيلاء أهمية أكثر للقضية الوطنية وقد تلا الاستقلالية عملية جزأرة النقابة بحيث انخراط 250ألف عامل جزائري في الكونفدرالية العامة للشغل سنة 1945 إلا أن عدم تناول النقابة مسألة الاستقلال الوطني بوضوح جعل الجزائريين يبتعدون عنها ولم تنجح إلا بعد فوات الأوان وباحتشام وعندئذ تخلى عنها الجزائريون بالجملة[4] بل أن بصمات الاشتراكيين في مجازر الشمال القسنطيني

1احمد عبيد، مرجع سابق، ص 40.

2Noura BenalleugueChaouia , op cit, p 274.

3Lakhdar kaidi , op cit , p 166 .

4 عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص 154.

ظلت ماثلة للعيان عندما قنبلت الطائرات الفرنسية المواطنين العزل في سطيف تحت أوامر " شارل تيونCharles Tyon" وزير الطيران في حكومة شارل ديغول وفي قالمة شارك أعضاء من الحزب الشيوعي الجزائري في ميليشيات المعمرين ضد السكان.

وتراجع انخراط الجزائريين في النقابات من 250ألف منخرط الى 80ألف بسبب تبعات مجازر الثامن من ماي 1945 [1] بل أنالكونفدرالية العامة للشغل التزمت الصمت تجاه تلك المجازر[2] وهو ما فسره الجزائريون تواطؤا مفضوحا ضد القضية الوطنية وخيانة لخطاباتهم ومبادئهم.

إن المساعي الهادفة الى تحقيق الاستقلالية للجزائريين في النضال الاجتماعي المطلبي وجزأرة الإطارات النقابية بدأت تؤتي ثمارها سنة 1947 بفعل الانتقادات التي طالت التيار الشيوعي والاشتراكي إزاء الموقف المدين للتيار الوطني الاستقلالي باتهامه بالمسؤولية عن مجازر 08-05-1945 وهجرة الجزائريين الجماعية بعد ذلك لقواعده الحزبية والنقابية فحاول هذا التيار استدراك الخطأ والتعبئة من جديد لاسترداد شعبيته وسط الطبقة الشغيلة و من جهة أخرى فان لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية للجزائر(CCSCA) ظلت محل شكوك الاشتراكيين المتخوفين من القطيعة مع المركزية الفرنسية الأم وهي بوادر نشوء أزمة داخل النقابة منذرة بانقسام جديد داخل اليسار الفرنسي .

وتشكل سنة 1947 سنة خصبة بالأحداث المعلمية في الجزائر والعالم سادها توترا في العلاقات الدولية وطبعها تجدد الصراع الايديولوجي بين المعسكر الشرقي الشيوعي بزعامة الاتحاد السوفياتي والمعسكر الغربي الرأسمالي بقيادة الو.م.أ , والذي سيرمي بتداعياته على الكونفدرالية العامة للشغل وعلى الطبقة الكادحة الجزائرية في ظل سعي القوى الكبرى نحو التكتلات والأحلاف على حساب الدول الضعيفة والشعوب المستعمرة التي أقحمت في مجال صراع الحرب الباردة , اذ بدأ التصدع يدب في هياكل الكونفدرالية العامة للشغل سنة 1947 حيث انفصل

1Parti Communiste International ,Le syndicalisme en Algérie 1919-1979 , les cahiers d'El Oumami , Paris, p 10
2François Weiss, op cit , p 24 .

الاشتراكيون عن الشيوعيين وكونوا " القوة العمالية" [1] وبقيت الكونفدرالية العامة للشغل ميالة الى الحزب الشيوعي الفرنسي وهي الأغلبية وأما النقابة الجديدة " القوة العمالية (FO)[2] فهي تابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي . وتعززت مكانة الجزائريين داخل القاعدة النضالية فيها بنسبة ¾ من مجموع وعاء المنخرطين [3] وتزعم التيار الثوري الشيوعي داخل الكونفدرالية العامة للشغل السيد "بينوا فراشون" وتزعم "ليون جوهو" التيار الاشتراكي الإصلاحي وظلت النقابة الأولى ذات الأغلبية منتشرة في الجزائر وغادرها بعض الأوربيين في قطاع البريد والمواصلات والصحة واتهم الشيوعيون خصومهم الإصلاحيين (وهم الأقلية) بتكسير الإضرابات ونضال الحركات النقابية[4] . وتبقى الاختلافات بين الطرفين حول العديد من القضايا المرتبطة بالصراع الدولي (الحرب الباردة) والوضع المحلي والمستعمرات من الأسباب التي فككت النقابة ولعل أبرزها يندرج في المظاهر التالية:

1- تباين وجهات النظر في تحليل معطيات الحركة المطلبية منذ صيف 1946.

2- دعم الشيوعيين داخل الكونفدرالية العامة للشغل للإضرابات التي جرت في صيف 1947 وعلى إثر انسحاب الوزراء الشيوعيين من الحكومة في شهر ماي 1947.

3- الإضرابات القوية والشاملة لشهري نوفمبر- ديسمبر 1947 التي لم توافق عليه الأقلية الاشتراكية الإصلاحية الممثلة في القوة العمالية واعتبرت الإضراب سياسي مدعوم من أطراف خارجية في إشارة إلى الكومنترن وعرقلة وصول المساعدات المالية لمشروع مارشال إلى دول أوربا .[5]

1Mohamed Teguia, op cit, p 144.

2انشقت في 19-12-1947 بباريس من طرف Léon Jouhaux منسحبا من الكونفدرالية العامة للشغل ورفضه السيطرة الشيوعية والتزاما بميثاق آميان (Amiens لسنة 1906 القاضي بعد ارتباط النقابة بأي فكر سياسي او ديني او عرقي او لغوي) ويتواجد انصارها في قطاع البريد والمواصلات والطيران والحماية الاجتماعية انظر: أحمد منغور، مرجع سابق، ص 46.

ا3حمد عبيد، مرجع سابق، ص 41.

4Lakhdar kaidi, op cit, p 104.

5-محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 37.

4- إقدام بعض المسؤولين الاشتراكيين على قمع مظاهرات 1947 العمالية وتخلصت الحركة النقابية من هؤلاء الاستعماريين "المغمورين والمعرقلين" في إشارة الى الشيوعيين[1] .

5- فشل إضرابات نوفمبر وديسمبر 1947 وما ترتب عن ذلك من خصم في أجور العمال.

وفي المقابل ارتكز برنامج " القوة العمالية "على أسس مطلبية ومهنية بعيدا عن المطالب السياسي في شكل عريضة مطالب اجتماعية- مهنية مع ميل لتكريس امتيازات الوضع الاستعماري فيها:

- المحافظة على امتيازات الموظفين الأوربيين وأقلية من الجزائريين في الجزائر.
- تطبيق القوانين الاجتماعية المطبقة في فرنسا على العمال الجزائريين [2].
- تحديد الأجر الشهري المضمون للفلاحين بالتساوي مع الفلاحين بفرنسا.
- الدعوة الى ربط الجزائر بفرنسا كحل لمختلف المشاكل التي تعاني منها الجزائر (الإدماج) مما جعل الجزائريون ينفرون منها [3] وهي العبارة التي فكت الارتباط بين الجزائريين والسلطة الاستعمارية منذ عقود.

وعلى ضوء هذا الانقسام شهدت الجزائر وفرنسا حراكا اجتماعيا لم يسبق له مثيل في شهري نوفمبر وديسمبر 1947 هز عالم الشغل في العالم , ففي الجزائر دعت نقابة الكونفدرالية العامة للشغل الاتحادات الثلاث الى تأجيج الإضرابات لمدة 13 يوما , طالب فيها عمال البريد , التراموای , البلديات , الغاز والكهرباء , التبغ والموانئ والمستشفيات بتحسين الأجور [4] .وشهد القطاع الوهراني إضراب 43 ألف عامل (14 % عمال السكك الحديدية , 13 % عمال الموانئ , 13 % عمال البريد والاتصالات والبناء والخشب , 12 % عمال المعادن ,و 07 % من الموظفين) أوقفوا العمل في 26 شركة لمدة 15 يوما لرفع الأجور الى 8100ف/ شهريا

1Lakhdar kaidi , op cit , p 107 .

2صدع الامير خالد بهذا المطلب خلال العشرينيات من ق 20 وتكرر مع نجم شمال افريقيا 1926 ومازال دارجا في الخطاب النقابي 1947.

3 محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 40

4BoualemBourouiba , op cit , p 91 .

ورفع رواتب المزارعين .وامتد الإضراب الى القطاع القسنطيني للمطالبة بتطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية على العمالات الثلاث ومنح العلاوات العائلية للعمال المزارعين وألا يكون الحد الأدنى للأجر الشهري المضمون أقل من نظرائهم الفرنسيين [1]غير أن إضراب قسنطينة كان ضعيفا بسبب تباعد مناطق الإضراب والتي اغلبها عبارة عن مناجم بعيدة عن بعضها البعض ماعدا عمال السكة الحديدية والبلديات وعمال الكهرباء والغاز واصلوا الإضراب من الأسبوع الأخير من شهر نوفمبر إلى الأسبوع الأول من شهر ديسمبر[2] وبقى قطاع قسنطينة شاهدا على الإضراب البطولي الذي شنه عمال منجم الكويف بتبسة لمدة ثلاثة أشهر تمحورت مطالبهم حول :

– الظروف المهنية الصعبة والحوادث القاتلة والسلامة البدنية داخل المنجم.

– توفير الشروط الصحية داخل المناجم والأحياء السكنية المجاورة.

– إعادة السجناء الثلاثمائة إلى مواقعهم الأصلية (إذ قامت الإدارة بجلبهم وإيوائهم في بيوت قريبة من المنجم لأجل استخدامهم في تكسير الإضراب).

– رفع الأجور وتحسين ظروف الإقامة وإلغاء التمييز العنصري الذي اعتمدته الإدارة لتقسيم العمال وبث الفرقة بينهم مثل ما تم بين الجزائريين على أساس قبائل، جواجلة، عرب وإيطاليين.

كما رفضت الإدارة الحوار مع الأمين العام للنقابة " روني سولر " وأرزقي ابراهيم عضو الأمانة وقايدي لخضر عضو المكتب بدعوى وجود مندوبين عن المضربين مع مسؤولي النقابة [3] ثم امتد الإضراب الى وهران وسط عمال السكة الحديدية، البناء والإداريين والمزارعين وعمال الغابات إلى غاية مدينة تموشنت [4]. أما في مدينة الجزائر وضواحيها فانطلقت حركة الإضراب يوم 27-12-1947 تزعمها عمال الموانئ والتبغ وكانت بطابع انتفاضة سياسية [5] تميزت بشدة الحركية والتوسع وأخذت بعدا دوليا ضد الامبريالية وعلى رأسها الو.م.أ وقدر عدد المضربين ب : 100ألف دون

1Noura Benalleugue Chaouia, op cit , p 287
2René Gallissot ,Algerie colonisée ,Algérie Algérienne 1870-1962 , la republique française et les indigènes , édition Barzakh , Alger , 2007, p 168 .
3Lakhdar kaidi , op cit , p p 94,95 .
4René Gallissot , op cit , p168 .
5Noura BenalleugueChaouia , op cit , p 305 .

حساب المزارعين , أما في ضواحي وهران فانطلقت من ديسمبر 1947 الى جانفي 1948 تخلل المظاهرات تجمعات للمزارعين والصيادين وعمال الموانئ لأجل الأجور والتشغيل والمنح[1] وخوفا من انفلات الوضع وافقت السلطات الفرنسية في الجزائر على الاستجابة لبعض المطالب المهنية كالضمان الاجتماعي و إنشاء صناديق الإسعاف ووضع حد لعمالة السجناء وانتخاب مندوب عن عمال المنجم في الصحة والتشاور بين المكتب النقابي وإدارة المنجم حول المشاكل العالقة واستبعاد المطالب السياسية من المفاوضات بين الإدارة والنقابيين مثل : منع باريس لزيارة الجنرال الأمريكي ريجواي Rigway, إفشال مخطط جورج مارشال ومنع شحن الأسلحة نحو فيتنام .

لقد تحمل الجزائريون جراء ذلك القمع الذي أمر به وزير الداخلية الاشتراكي " جول موك Jules Moch"[2] والذي رافقه تسريح العديد من العمال إلا أن صمودهم في الميدان جعل الكونفدرالية العامة للشغل تسارع الى ضمهم في صفوفها ولما فشل الإضراب في تحقيق بعض المطالب انسحب الأوربيون من الكونفدرالية العامة للشغل وأنشأوا نقابة جديدة تحت اسم القوة العمالية في 13-02-1948 وهذا الانقسام كان في صالح الجزائريين [3] الذين عادوا إلى نقابة الكونفدرالية العامة للشغل من خلال إضراب منجم الكويف[4] على عكس نقابة الكونفدرالية الفرنسية للعمال المسيحيين و نقابة " **القوة العمالية** " اللتان دانتا الإضراب واتهمتا محركيه- في إشارة إلى الحزب الشيوعي الفرنسي وموسكو- بالتحريض على الإضراب وأصبحتا تستقطبان العمال الأوربيين الذين انسحبوا منالكونفدرالية العامة للشغل لسد الفراغ الذي تركه العمال الجزائريون بعد إضرابات 1948 ووصل عدد الفرنسيين المغادرين أقل من 100ألف سنة 1952 و60 ألف سنة 1953 وانخرط الجزائريون في الكونفدرالية العامة للشغل في السنتين المذكورتين

1René Gallissot , op cit , p 167 .
2Lakhdar kaidi , op cit , p 101 .
3BoualemBourouiba , op cit , p 92 .
4ReneGalissot ,Algérie colonisée ,Algérie algérienne 1870-1962 , la république française et les indigènes , édition Barzakh , Alger , 2007, op cit , p 167 .

على التوالي 43 ألف و 35.7 ألف بمجموع 78.7 ألف عامل ويظهر الجدول التالي تراجع عدد المنخرطين في الكونفدرالية العامة للشغل بين 1945-1948 من الجزائريين [1] .

اتحادات العمالات	1945	1946	1947	1948
اتحاد عمالة الجزائر	107.142	104.834	119.510	48.039
اتحاد عمالة وهران	84.714	66.731	66.336	43.000
اتحاد عمالة قسنطينة	45.223	51.143	45.051	33.961

بعدما كان عدد منخرطيها بين 1946-1947 ما بين 250.000 الى 300.000 نزل التعداد الى 100.000 منخرط بسبب الانقسام ونشاط الأحزاب الوطنية الجزائرية ومواقف الأحزاب الفرنسية وحركة الإضرابات المطلبية [2] وقد مس النزيف القطاعات التي يكثر فيها الأوربيون عكس القطاعات التي يشتغل بها الجزائريون كالموانئ، عمال السكك الحديدية والمناجم. فالتغيير الكمي الذي مس أكبر نقابة في الجزائر سار لصالح الوحدويين الشيوعيين على حساب الكونفدراليين الاشتراكيين لأن فلسفة هؤلاء تقوم على التمسك باستقلال النقابة عن السياسة والتي لم تعد تقنع القاعدة العريضة من الجزائريين وتوطدت العلاقة بين الحزب الشيوعي الفرنسي والكونفدرالية العامة للشغلمما سمح للشيوعيين بالهيمنة على المراكز القيادية في كل من فرنسا والجزائر واتسع التنظيم النقابي إلى الجزائريين بشكل واسع وأعاد طرح القضية الوطنية من جديد في الخطاب النقابي.

كما لا يفوتنا التذكير بأن التصور الذي تبنته المنظمة الأصلية وقتها في المطالبة بالاستقلال التام للجزائر جعل الشيوعيين بعد الحرب العالمية الثانية يربطون مصير الجزائر وتحررها بتحقيق حكم يساري في فرنسا وهو نفس تصور الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يعبر عن المصالح الفرنسية

1محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 42.

2Boualem Bourouiba , op cit , p 83 .

أكثر مما يعبر عن المطامح الجزائرية لكن الحراك الاجتماعي للجزائريين بعد 08-05-1945[1] والانتخابات المحلية والتشريعية المتتالية والإضرابات المتكررة أعطت الدليل القاطع للنظام الاستعماري على مدى قوة الشعور الوطني في الجزائر [2]. ففي تصريح لبن اسماعيل علي (قابض في السكة الحديدية الجزائرية عبر الطرق وعضو في اتحاد النقابات الكونفدرالية لولاية الجزائر وفي لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية للجزائر) سنة 1948 في مؤتمر الكونفدرالية العامة للشغل" **إن العمال في وعي مستمر بأن النضال من أجل مطالبهم المهنية لا يمكن فصله عن النضال من أجل الحرية** "، وفي نفس الاتجاه ذكر دحمان قسوم امام مؤتمر عمال السكك الحديدية في الجزائر 1949 بـ:" **دور النقابي في الكونفدرالية العامة للشغل يكمن في تحرير الشعب الجزائري من سادة الاستعمار** "[3] .

وفي جانب آخر أكد لخضر قايدي لقد تم التقليل من أهمية الظروف الخاصة بـ: الكونفدرالية العامة للشغل في الجزائر من قبل النقابة الأم المركزية ولم تأخذ مسألة الاستعمار بجدية وهذا ما ولد لدى المناضلين النقابيين الجزائريين في الكونفدرالية العامة للشغل فكرة إنشاء مركزية " **لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية للجزائر** " وفي 1949 ظهرت ملامح مركزية نقابية جزائرية من تركيبة المكتب ممثلا في جرمان رابح (الموانئ)، بن عيسى عطا الله (الصحة)، إدريس أوجينة (الموانئ) [4].

4-مشروعية الحقوق في ميزان الأيديولوجيا والحرية:

لقد امتازت إضرابات العمال الجزائريين سنتي 1947-1948 ببروز شعور نضالي عمالي واسع امتد إلى الأوساط الشعبية واتخذ أبعادا تتجاوز الحدود النقابية لتطرح قضية الاستعمار في

1Mohamed Fares ,Aissatidir. documents et témoignages sur le syndicalisme algérien ,Alger ,p53.

2احمد عبيد، مرجع سابق، ص 39.

3محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص ص 46- 47.

4Mohamed Fares , op cit , p 52

الميزان محولة الإضـرابات النقابية للجزائريين إلى إضـرابات سـياسـية، وأفرزت تطوراتها تناقضـات داخل الحركة النقابية التي امتازت بممارستين متعاكستين في الاتجاه هما:

1- ممارسة تتقيد بالأسلوب المطلبي النقابي تجاه القضايا التي تمس الكيان الفرنسي بالجزائر وهو مسلك الأوربيين.

2- ممارسة تربط بين المطالب الاجتماعية والمطالب الوطنية وأصبحت الممارسة الثانية تسبق الأولى في الاعتبار وهو الشيء الذي لفت انتباه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وسبقت الحزب الشيوعي الجزائري في تنظيم الجماهير في حرصها على إنشاء نقابة وطنية جزائرية [1].

لقد ظلت فكرة سائدة وسط العديد من المهتمين بالشأن الاجتماعي والكفاح المطلبي في الجزائر بأنها "**حركة مطلبية وليست حركة سياسية** " وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحا في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ولكن فيما بعد ارتبطت حركة العمال بالحركة السياسية في منحى تصاعدي حتى تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين تحت إشراف جبهة التحرير الوطني والأدلة على ذلك كثيرة منها:

1- رفع العلم الوطني بمناسبة الاحتفال بعيد العمال في الأول من ماي من كل سنة مطالبين فيه بوضع حد للعبودية والاستعمار.

2- تزايد الوعي السياسي لدى العمال الجزائريين من خلال حركة الإضرابات 1947 , 1948 , 1949 , 1950, 1951 عارضت فيها سياسة القمع البوليسي للعمال ورفض شحن الأسلحة والعتاد العسكري في ميناء وهران باتجاه فيتنام سنة 1949[2] .

وبدأت بوادر إنشاء نقابة جزائرية سنة 1944 وسط التجار والحرفيين وفي 1947 تم إنشاء نقابات للجزارين والخبازين والمطاعم بقيادة صادوق ريحاني ونقابة الدكاكين بقيادة عمار مسعودي أما نقابة الحلاقين وتجار الخضر والفواكه كانت تحت إمرة سعيد بوجرودي وكل هؤلاء العناصر

1 احمد عبيد، مرجع سابق، ص 41.

رضا بن عاشور، من تاريخ الحركة النقابية في الغرب الجزائري، مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية التابعة للاتحاد العام للعمال الجزائريين , 2مرجع سابق، ص 85.

أعضاء في حركة الانتصار[1] وشاركت في احتفال 01-05-1948 لكنها زالت تدريجيا [2], وقد صادفت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية صعوبات كبيرة في إنشاء نقابة وطنية جزائرية عكس الجمعيات الرياضية والطلابية لذا عمدت الحركة إلى أسلوب تكتيكي فأعطت إذنا للعمال الجزائريين الوطنيين بالانخراط في الكونفدرالية العامة للشغل الفرنسية الشيوعية المنهج في 1947 والتسلل الى بعض النقابات الصغيرة كنقابة التجار المسلمين 1945 ونقابة عمال الموانئ والمواصلات بمدينة الجزائر على غرار عيسات إدير وبورويبة بوعلام (سائق القطار) ورابح جرمان عامل بميناء الجزائر[3] .

ونظرا لهيمنة الحزب الشيوعي الجزائري على المنظمات الجماهيرية وقدرته الهائلة في الهيكلة والتنظيم والتأطير في الساحة المهنية للعمال فقد أصبح ندا لحركة الانتصار التي أدركت أن الحركة العمالية وحركة الجماهير من الوسائل القوية في النضال التي يفتقدها الحزب الوطني وهي نقطة ضعف باتت تؤرق الحركة في وقت يجيد فيه الحزب الشيوعي الجزائري توظيفها بشكل جيد في ظل مراهنتها على المطالبة بالاستقلال، فانه لا يكمن لها أن تحقق أهدافها الوطنية بعيدا عن سند الجماهير في إطار منظم [4].

عشية المؤتمر الاول لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1947 أصبح الجزائريون الذين يتولون مسؤوليات في نقابة الكونفدرالية العامة للشغل أمام مأزق حقيقي حول الطرح الذي يتبناه العمال الجزائريين وما مدى استجابة النقابة لمطالبهم، فهل يدافعون عن مطالب الكونفدرالية العامة للشغل أم يدافعون عن المطالب الخاصة بالجزائريين؟ وفي تحليلهم رأوا في المطلب الأول انهم يحصلون على تحسين ظروفهم لفترة محددة وقد لا تكون تلبيتها كاملة أما في المطلب الثاني فإنهم يصطدمون بمعارضة الأغلبية لهم من الأوربيين الذين تزعجهم وطنية "الأهالي وتعصبهم "وبالتالي

1Charle Robert Ageron ,Genèse de l'Algérie algérienne , édition Bouchènes , Paris , 2005, p 492 .

2René Gallissot , Algérie .., op cit , p 176 .

3 عبد الرحمن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954 , الجزء الثالث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر , 1986 , ص 328.

4Ahmed Abid, Mouvement syndicale et luttes sociales en oranie, thèse doctorat 3 sycle, s/d René Gallissot , vol 2, Oran , 1985 ,p 364 .

فهم غير قادرين على تحقيق مطالبهم داخل هذه المنظمة النقابية[1]. وغداة انعقاد المؤتمر بتاريخ 15-02-1947 اجتمعت عناصر من المناضلين النقابيين في إسطبل قديم في بلكور جمع كل من عيسات إيدير، عطا الله بن عيسى، رابح جرمان، احمد زيتوني، صالح زيوي وأمر محمد بلوزداد (قائد هيئة اركان الأولى للمنظمة الخاصة) مسؤول المجموعة عيسات إيدير بوضع قواعد لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية وإنشاء خلايا في المؤسسات ومنظمة للبطالين وكلفوا بالأدوار التالية:

1- تأطير المناضلين الجزائريين داخل الكونفدرالية العامة للشغل وإزالة نفوذ العناصر غير الوطنية (تيار الإصلاحيين المندمجين في الصراع الطبقي والإتحاد الفرنسي) وهي غير ملائمة للوضع في البلاد.

2- تكوين المناضلين في العمل النقابي المباشر والتكفل بالمشاكل الحيوية داخل الكونفدرالية العامة للشغل على غرار المطالب السياسية والمهنية معا [2].

3-انتهاج دعاية وطنية بإبراز الفوارق الاجتماعية والاقتصـــادية والامتيازات بين المجموعتين الجزائرية والأوربية.

4- فتح مدرسة لتكوين إطارات نقابية بمدرسة الراشد بالعاصمة في ديسمبر 1953 [3].

إلا أن هذه الإستراتيجية شابها الغموض وسط النقابيين الجزائريين وترددهم بسبب الخوف من تبعات ذلك على الحركة الوطنية جراء وجود نقابيين في منظمة فرنسية قد يسربوا معلومات إلى السلطات الاستعمارية ويفشل المشروع الوطني برمته. كما حاولت الحركة اختراق النقابة الفرنسية واستمالة الشيوعيين إلى الوطنية [4] وهو أحد الخيارات التي طرحها العمال الجزائريون:

- دعم ميلاد نقابة ذات اتجاه حكومي لتكون مستقبلا مركزية وطنية.

1BoualemBourouiba, op cit, p 85.

2 محمد فارس، مصدر سابق، ص 134.

3احمد عبيد، مرجع سابق، ص 42.

4Charles Robert Ageron, op cit, p 493.

– الانخراط في صفوف نقابة القوة العمالية والسعي لتسلم مراكز القيادة فيها وهي النقابة التي تتوجس من "**الوطنية الأهلية** ".

– تشجيع العمال والنقابيين الجزائريين الأعضاء في حركة الانتصار على الانخراط في الكونفدرالية العامة للشغل والترشح لمواقع المسؤولية والدفاع عن السياسة الحزبية داخل النقابة. وقد ارتاح العمال للخيار الأخير لأن مشروع إنشاء نقابة وطنية لم ينضج بعد [1] وكان ذلك تعبيرا عن الإجماع وأن تكون لهم فرصة للتكوين النقابي والتدرب على فنيات الخطاب والنضال العمالي يوظفونها فيما بعد في تشكيل النقابة الوطنية واستحالة تنفيذ الخيارين الأول والثاني لا سباب قانونية وسياسية وأيديولوجية وعنصرية من طرف الحكومة الفرنسية والأوربيين.

لقد خصصت حركة الانتصار في جريدتها " **الجزائر الحرة Algérie Libre** "صفحة بقلم" **محند امقران** " الاسم المستعار لـ: عيسات إيدير ونقابيين آخرين الذين باتوا يوجهون انتقادات لاذعة إلى الكونفدرالية العامة للشغل منددا بالسياسة التي تدافع عنها النقابة " القائمة على التمييز الفادح بين العمال الجزائريين والفرنسيين في الجزائر أو في فرنسا في مجال الأجور التي غضت النقابة الطرف عنها : أجور مرتفعة للعمال المؤهلين الأوربيين وأجور منخفضة جدا للعمال الجزائريين وتغييب التضامن العمالي , ففي الوقت الذي يتشدق فيه المسؤولون النقابيون بتوجيه نشاطهم نحو أهداف سياسية خارجية بعيدة عن انشغالات الطبقة الشغيلة كجمع التوقيعات لأجل إنشاء حكومة ديمقراطية في فرنسا 1951 [2] نراها تتغاضى عن اللا مساواة الفاضحة في الجزائر وفرنسا في مجال الأجور , فالأجور المرتفعة مخصصة للأوربيين المؤهلين أما الأجور المتدنية فهي من نصيب الجزائريين البسطاء ومن هنا دعت اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية والنقابية الجزائريين التمسك بالأهداف التالية لتحقيق المطالب الاجتماعية والاقتصادية والوطنية :

1BoualemBourouiba, op cit, p 104.

2 محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 48.

1- تكوين نقابات من طرف العمال الجزائريين لكي يتسنى لهم التحرك بشكل مستقل وليس بإيعاز من نقابة الكونفدرالية العامة للشغل.

2- النضال من أجل الاستقلال وتدمير النظام الاستعماري مصدر استغلال الجزائريين.

3- تنظيم الكفاح ضد القمع الاستعماري كأولوية قبل الخطر النووي.

4- على المنظمان النقابية الفرنسية إعلان النضال ضد التمييز في الأجور بين العمال الجزائريين والفرنسيين [1].

ظل الجزائريون يعانون من النظام الاستعماري الذي يستهدف تقسيم وحدة الحركة العمالية على أسس عرقية وعنصرية ونفس السلوك تنتهجه الكونفدرالية العامة للشغل مع الإضراب عندما يخص الجزائريين في المناجم نراه جزئيا وعندما يتعلق بالفرنسيين يكون شاملا وعاما كما اتهمت حركة الانتصار الكونفدرالية باحتكار الوظيف العمومي من قبل أقلية تسعى الى تقديم عرائض من أجل السلام[2] بدلا من محاربة أرباب العمل [3]وقد أعطى عيسات إيدير بديلا لتقويم مسار النقابة تركز حول النقاط التالية[4] :

1- منح أجور مرتفعة للعمال الجزائريين وعلاوات عائلية للجميع.

2- احترام السلم الإداري لا يعني هدر تضحية القاعدة العمالية العريضة (في إشارة إلى الأجور المنخفضة للجزائريين قياسا مع أجور الأوربيين بناء على معيار التأهيل).

3- نقابات للجميع ولا لاحتكار مجموعة عرقية أو سياسية ولا للانتهازية.

4- الكفاح من أجل الاستقلال، فالكفاح من أجل شروط أفضل للعيش مرتبط لزوما بالكفاح من أجل الاستقلال.

1BoualemBourouiba, op cit, p 115.

[2] المؤتمر العالمي الأول للسلام 1949 في الدائرة 16 بباريس حضره ممثلون مسلمون وأوربيون (شيوعيون، حركة الانتصار، الاتحاد الديمقراطي والعلماء منهم اندري مندوز، ألكسندر شولي، شوقي مصطفاي، بوشامة، رضا حوحو، احمد حماني، كوش يونس وقدموا عريضة: تطالب بالتحرير الوطني من الاستعمار والتحرير الاجتماعي من الاستغلال. انظر: . Lakhdar kaidi , op cit , p 138

3Noura BenalleugueChaouia, op cit, p 354.

4Ahmed Abid, vol 2, op cit, p 365.

5- تحذير عمالنا من التهديد النووي هو احتقار لمطالبهم الشرعية بل إن الإدارة تسند هذا التوجه وتجعل نضال العمال يتمحور حول قضايا عامة مخاطر مستقبلية لا تعنيهم لا من قريب ولا من بعيد.

لقد أحرجت مقالات عيسات ايدير محتكري قيادة الحركة العمالية وزادت من وعي العمال الجزائريين في مختلف القطاعات ولم تعد الكونفدرالية العامة للشغل تقنع الجزائريين بتضامن الطبقة العاملة ولا يمكن" للأخوة العمالية" أن تحد من الفرق في الأجور وطبيعة العمل بين الأوربيين والجزائريين بين أولئك الذين يحتكرون الأعمال المريحة ومناصب المسؤولية وبين هؤلاء الذين يقادون إلى الأعمال الشاقة والوضيعة [1].

انطلقت حركة الانتصار في تتبع قصور وتناقضات الكونفدرالية اجتماعيا وايديولوجيا وسياسيا وسعت الى وضع حد لتأثير الشيوعيين وسط نقابة العمال في أرصفة الميناء التي تعتبر معقل نقابة الكونفدرالية العامة للشغل لمدة طويلة ولا يعني أن كل العمال منخرطون في الحزب الشيوعي الجزائري[2] واذا كان هذا الأخير أولى أهمية كبرى لتكوين مناضليه في إطار الندوات والتربصات بمساعدة الحزب الشيوعي الفرنسي و" **الفدرالية النقابية العالمية** [3]" – ذات التوجه الشيوعي ومقرها ببراغ– فان الحزب الوطني ذو الإمكانيات المحدودة ماديا قد قرر تكثيف الوعي بعدالة القضية وان الاستقلال هو السبيل الوحيد لوضع حد للاستغلال الاستعماري والامبريالية وسطر برنامج عمل يقوم على :

1- الحضور الواسع في القاعدة العمالية والقمة الهرمية للنقابة.

1Carles Robert Ageron, op cit , p 394 .

2BoualemBourouiba , op cit , p 113 .

3 الفدرالية النقابية العالمية(FSM):نشأت في مؤتمر باريس المنعقد 03الى 08اكتوبر 19455 تجمع ثلاث تيارات : تيار قريب من الاتحاد السوفياتي وتيار معادي للشيوعية وتيار معتدل وسط تتزعمه CGT الفرنسية ومؤتمر المنظمات الصناعية CIO .وأصبح Walter citrine رئيسا لها وLouis saillant امينا عاما لها وقد عملت الفدرالية الامريكية للشغل والكونفدرالية الدولية للنقابات المسيحية على منع النقابات من الانضمام الى FSM وزاد مشروع مارشال الانقسام داخل النقابة بين مؤيد للمشروع ومعارض له حسب الايديولوجيا فغادرها الغربيون 1949 وانشاوا في ديسمبر من نفس السنة CISL وبعدها سيطر الشيوعيون على FSM كلية واصبحت تتلقى اوامرها من السوفيات وشمعت الحكومة الفرنسية مقرها في باريس واتخذت من براغ مقرا جديدا لها .انظر :fr.wikipedia.org/ 04-09-2012

2- دعم الحزب لتطوير عمل الخلايا داخل المؤسسات.

3- دعم دور اللجنة المركزية للشؤون الاجتماعية والنقابية وإشراك الإطارات في أشغالها وإثراء العمود النقابي في جريدة " الجزائر الحرة "[1] .

لقد عزم قادة حركة الانتصار على أن يعيدوا الوجه الحقيقي للنضال النقابي الجزائري حيث وجدوا تجاوبا وسط العمال الجزائريين وصعبوا من مهام الكونفدرالية العامة للشغل في الجزائر ووضعوا علامة استفهام حول مشروعها في إيجاد جزائر ديمقراطية واجتماعية يتعايش فيها الأوربيون جنبا إلى جنب مع الجزائريين وحملها عيسات إدير مسألتين هما :1- التوجه السياسي للنقابة .2- التفرقة العنصرية [2].

لم يكن كفاح الكونفدرالية العامة للشغل للاستعمار بنفس نبرة وراديكالية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية التي تعتبر مطلب الاستقلال هو الحل الوحيد لتحرير المجتمع الجزائري من الاستعمار أما بقية المطالب فهي تحصيل حاصل بينما نجد الكونفدرالية العامة للشغل تدرج الكفاح ضد الاستعمار ضمن إستراتيجية ربط المطلب الوطني بشروط التحالف الدولي للبروليتاريا[3] وهو ما جعل النقابات الأوربية تبتعد عن المظاهرات التي تطرح مسألة الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر كقضية وطنية وأن التناقض بين النقابات حول مسألة الوطنية جعلتهم في منأى عن الامتداد الى طبقات اجتماعية جزائرية واسعة وأسفر كفاح الكونفدرالية العامة للشغل للاستعمار عن بروز نهجين داخل المنظمة الواحدة هما :

أ- نهج نقابي حقيقي لترقية المستوى الاجتماعي والاقتصادي.

ب- كفاح مطلبي ضد القهر الاستعماري ومن أجل الحرية.

وهذا النهج سمح بامتداد الحركة النقابية إلى الحركة الوطنية الجزائرية وسعت إلى دعم شروط وحدة الكفاح ضد الاستعمار في أوساط الأحزاب السياسية مما دفع بحركة الانتصار للحريات الديمقراطية إلى استمالة الحركة العمالية لصالحها منذ 1950 عندما أضرب عمال ميناء وهران والفلاحين

1BoualemBorouiba, op cit, p 90.
2 Ahmed Abid, vol 2, op cit, p 366.
3Ahmed Abid, vol 2, op cit, p 367.

1951[1] وظلت حركة الانتصار الخصم العنيد لنقابة الكونفدرالية العامة للشغل التي مزقتها أطروحتان أساسيتان:

أ- أطروحة الحزب الشيوعي الجزائري الذي يعتمد النضال الاجتماعي كسبيل للتحرر.

ب- أطروحة حركة الانتصار التي تعتمد الحل السياسي الجذري لتحسين ظروف المعيشة للعمال وعامة الشعب الجزائري[2] .

ولعل ما يلفت الانتباه انه في الوقت الذي تعطي فيه حركة الانتصار للحريات الديمقراطية أوامر إلى مناضليها بالانخراط في الكونفدرالية العامة للشغل نرى أحد مناضلي النقابة والحزب معا (عيسات ايدير) يسلط على الكونفدرالية انتقادات قوية على صفحات جريدة الحركة " الجزائر الحرة " بقصد تحقيق الغايات التالية:

- دفع الكونفدرالية العامة للشغل الى تقويم مسارها وأخذ بُعد الكفاح ضد الاستعمار كأولوية في برنامجها النقابي وتبيان تناقضها المنهجي في إدانة الاستعمار والتهديد النووي والاستعمار الفرنسي في فيتنام والسكوت عنه في الجزائر.

- الضغط على الكونفدرالية العامة للشغل لاستقطاب مزيدا من الجزائريين وإعطاء فرصة للمناضلين الجزائريين للتكيف مع آليات النضال النقابي وتعلم المبادئ الأولية في النضال المهني ليكونوا إطارات النقابة الوطنية مستقبلا.

- السعي لضم عمال آخرين الى القضية الوطنية مثل الشيوعيين الأوربيين التقدميين.

- توجيه قرارات الكونفدرالية بما يخدم مصالح العمال الجزائريين.

- اتخاذ النقابة غطاء للهروب من القمع وتهديدات الإدارة الاستعمارية لغياب إطارات نقابية وطنية[3] .

1Ibid, p 369 .

2 احمد عبيد، مرجع سابق، ص 42.

3François Weiss , op cit , p 22 .

5-"الوطنية الأهلية" تنفرد بهيكلة البطالين الجزائريين:

لقد حقق عيسات ايدير السبق في إطار لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية عند اهتمامه بشريحة واسعة من الجماهير الجزائرية التي ظلت خارج الأطر المهنية والبرامج الحكومية وهي شريحة البطالين التي قاربت 01 مليون عاطل عن العمل وبالخصوص في الأرياف، واتخذها كأولوية لم تسبقه إليها أية نقابة ناشطة في الميدان والتي غلبت على حركتها المطلبية الاهتمام بأوضاع الاجتماعية والمادية للعمال المنخرطين في صفوفها دون اعتبار ممن هم خارج عالم الشغل ضحايا العنصرية الاستعمارية وتسلط جماعة المستوطنين على مقدرات البلد. ويكفي للتدليل على ذلك تلك المشاهد المتكررة لطوابير طويلة من طالبي العمل الذين بدوا في التوافد على ورشات أو مؤسسات أو مزارع المعمرين ابتداء من الساعة الخامسة صباحا يوميا صيفا وشتاء آملين الحصول على عمل لبضعة أيام لإعالة أسرهم " لنكتشف حجم معاناة مئات الآلاف العاطلين عن العمل من الجزائريين في طوابير طويلة كلما ظهرت احتمالية التوظيف [1].

ومن ثم تولت خلايا لجنة الشؤون الاجتماعية والنقابية الموجودة عبر البلاد في إحصاء وإسعاف هؤلاء العاطلين وتكوين فدرالية العاطلين عن العمل بقيادة محمد فلوس الذي واظب رفقة اللجان المحلية في التنديد بساسة التشغيل الحكومية القائمة على الميز العنصري وتفضيل العنصر الأوربي في التشغيل، وسطرت فدرالية البطالين برنامجا متكاملا لحل المسائل المرتبطة بفئة العاطلين عن العمل وعالم الشغل:

- وضع حد للاستيطان الأوربي بالجزائر.
- إلغاء منحة التعويض عن الضرر (33 % من الأجر الشهري) تقدم كإغراء لكل موظف أوربي يقبل بالعمل في الجزائر تطبيقا لسياسة الهجرة الأوربية نحو الجزائر [2].
- المطالبة بإلغاء نظام الدخلين في الأسرة الواحدة التي كانت قاعدة معتمدة لدى الأسرة المستوطنة (خروج المرأة الأوربية الى العمل من باب المساواة بين الجنسين في الثقافة الغربية).

1محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 50.

2BoualemBourouiba , op cit , p 114 .

- المساواة في الأجر الأدنى المضمون بين كل القطاعات الصناعية، الزراعية والتجارية.
- تعميم الاستفادة من المنح العائلية على العمال الزراعيين.
- توحيد نظام الضمان الاجتماعي ونظام التقاعد بين الأوربيين والجزائريين.
- زيادة وتوسيع مراكز التكوين المهني والإداري.
- تجسيد مشاريع تصنيع حقيقية في الجزائر.
- إلغاء نظام الانتخاب المزدوج وإرساء نظام انتخابي موحد يقوم على الاقتراع العام المباشر [1].

إن الفطنة السياسية التي عبرت عنها حركة الانتصار في اهتمامها بشريحة اجتماعية عريضة محالة على البطالة والتهميش من طرف النظام الاستعماري لا يتولى مسؤوليتها أحد من النقابات الفرنسية كانت من منطلق حرص هذه الحركة على إدماج هؤلاء الشباب في عالم الشغل , فقد هالتها المعايير الخرقاء التي تستخدمها الحكومة العامة في الجزائر أثناء توظيف الجزائريين حيث لم تتورع عن جلب عمال أوربيين لتوظيفهم في الجزائر وتدفع بالجزائريين إلى الهجرة نحو فرنسا قصد إفراغ الجزائر من مواطنيها نشدانا للتوازن الديمغرافي , فالبطالة شجعت أرباب العمل على عدم احترام قوانين العمل وأكبر ضحاياها هم عمال القطاع الفلاحي .

جاء في تقرير الوضعية العامة للجزائر سنة 1953 " أن الإدارة الاستعمارية أدركت خطورة الهجرة الجزائرية نحو الخارج وجعلت من أولوية انشغالاتها سنة 1950-1953 التحكم في اليد العاملة الجزائرية حيث قدر عدد البطالين ما بين 95ألفو145ألف عاطلا عن العمل وان الميزانية المخصصة للبطالة قدرت 394.170.202 ف يكون نصيب البطال منها 5744 ف حسب التقدير الأقصى لعدد البطالين وتبعا لإحصائهم فإن البطالة ظلت شبح يطارد الجزائريين وخاصة في الأرياف التي شهدت انفجارا ديموغرافيا غير مسبوق , والغريب في الأمر هو إقدام السلطات الفرنسية على فتح باب الهجرة نحو الجزائر للأوربيين في مسعى عكسي تماما " في الوقت الذي أرغمت فيه البطالة حوالي 300ألف جزائري على الهجرة نحو الخارج للتخلص من التسول ومن

1محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 50.

ذلك استعداد حكومة منديس فرانس[1] للتوقيع مع الجمهورية الفدرالية الألمانية على بناء مستوطنة كبيرة في الجزائر لاستقبال لاجئي الجمهورية الديمقراطية الألمانية المقدر عددهم 200 ألف لاجئ لدعم الوجود الاستيطاني في الجزائر " ولحسن الحظ أن هذا المشروع لم ير النور[2] .

نشَطت حركة الانتصار سنة 1953 حملة وسط لجان البطالين في المدن بتنظيم 40 خلية مؤسساتية [3]تدعو فيها إلى منع تعدد المداخيل واتخاذ إجراءات للحفاظ على مناصب العمل المفتوحة للجزائريين – لأن التسريح يمس الجزائريين دون غيرهم – ووقف هجرة الأوربيين إلى الجزائر وتكوين لجان بطالة في البليدة، خميس مليانة، الجلفة، الاغواط، قصر الشلالة، ومدينة الجزائر وشاركت الحركة في ملتقى الجزائر حول النضال ضد البطالة والتسريح في جانفي 1954[4].

وقد يتساءل المرء عن الأسباب التي جعلت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بطيئة في إعلان نقابة وطنية على غرار النقابة التونسية والمغربية وفي الوقت نفسه تقدم على تشكل فدرالية للبطالين؟ ويذكر محمد فارس أسبابا عديدا منها:

1- ضعف التمركز العمالي بالجزائر داخل المؤسسات لغياب صناعة حقيقية.

2- ضعف العمال نسبيا في القطاع الصناعي والذين بلغ عددهم سنة 1954 , 106 ألف عامل.

3- عدم تنظيم العمال الزراعيين باستثناء الفترة بين 1936-1939 حين قاموا بنضالات عنيفة اكتست طابع التمرد والعصيان.

4- تواجد كتلة عريضة من عمال الصناعة بفرنسا.

1بيار منديس فرانس 1907-1982 سياسي ونائب بين 1932-1944 ثم ما بين 1946-1958 وزير اول من جوان 1954 الى فيفري 1955 أنهي مشكلة الهند الصينية وقاد المفاوضات التي افضت الى استقلال تونس عارض حركة مايو 1958 ونظام ديغول وسياسيا ظل بين اتحاد الجمهورية الجديدة والحزب الاشتراكي الموحد والحزب الاشتراكي، ألف كتابا بعنوان الجمهورية العصرية 1962. انظر: احمد منغور، مرجع سابق، ص 43.

2BoualemBourouiba, op cit, p 133.

3 احمد عبيد، مرجع سابق، ص 42 .

4 Noura BenalleugueChaouia, op cit, p 356.

5- غياب طبقة عمالية مؤطرة داخل الأحزاب والنقابات التقليدية كما هو الحال في البلدان الصناعية.

6- الأزمات القوية التي هزت الحركة مثل أزمة اكتشاف المنظمة الخاصة1950 وانقسامها في المؤتمر الثاني 1953 [1].

7- القمع الذي طال الحركة وقوة تجذر الكونفدرالية العامة للشغل وسط العمال الجزائريين، ففي سنة 1952 كان عدد الجزائريين المنخرطين في النقابة هو 35.750 منخرط من مجموع 43 ألف منخرط[2].

ومما سبق ذكره فان اليسار الفرنسي حاول بيأس في كفاحه الاجتماعي التوفيق بين الايديولوجيا والاستعمار والوطنية الجزائرية , إذ ظهرت ملامح تخبطه في إدارة العمالة والوظيف في الجزائر وفرنسا والجمع بين المتناقضات السوسيوثقافية بين عرقين الأوربي والجزائري وبناء على ذلك اجتهدت حركة الانتصار في الإفادة من تلك التجربة اليسارية وتوظيفها ضمن تطور الوعي الاجتماعي وسط الجزائريين وفرملتها نحو المطلب السياسي كحل شامل للعمالة الجزائرية والقضية الوطنية بشكل عام إذ بدأ احتكاكها بالاشتراكيين ثم بالشيوعيين ثم الطلاق البائن نحو رسم خط وطني للنضال الاجتماعي أواخر الأربعينيات من القرن العشرين .

1 محمد فارس، مصدر سابق، ص 134

2Charles Robert Ageron , op cit , p 496 .